حقوق المرأة

«بقلم حضرة الأديبة البارعة السيدة مهجة قرينة جناب الفاضل»

«بولس أفندى سوقى بطنطا»

قد طالما خاض الكتاب وأرباب الأقلام فى لجج بحر هذا المبحث الواسع الأرجاء فمنهم من سلب من المرأة حقوقها، ومنهم من أوجب لها ذلك ومنهم من سلك سبيل التقييد ومنهم من أوجب ذلك إطلاقًا بلا قيد إلى آخر ما اختلفوا فيه من الآداب، فبعضهم أخطأ والبعض أصاب، ولكن مهما يكن فى الأمر من الخلاف وتشعب المذاهب، فلم يبق ثم محل للريب فى أن للمرأة حقوقًا مقررةً فى المجتمع الإنسانى، مراعاةً لروح هذا العصر ومجاراةً لأحوال الزمان الذى يرغب فيه شموس المعارف، وانقشعت غياهب الجهل عن الأفكار، فظهرت الحقيقة ساطعة النور فائقة البهاء عند الذين يرمون معرفتها ولا ينصرفون عن وجهة الحق أو ينحرفون عن سبيل العدل، ولا ينطقون عن الهواء أو يميلون مع ضعف النفس هائمين فى كل واد لا يجدون إلى الحق سبيلاً، ولا إلى العدل دليلاً إن الحقيقة حقيقةٌ لا يمسها إلاَّ المطهرون عن كل دنيئة.

ونحن فى هذا البحث لا ننشد إلا ضالة الحقيقة، ولا نلتمس فيما نقول سواها لا نشعر بها بسفسفة القول ولا نطلى بها محالاً، وإنما نظهرها مع قصر الباع وقلة الإطلاع وندارة المادة كما خلقت نورًا ونارا تضئُ أبصارًا وتحرق أبصارًا.

إن ما نحن فيه الآن موضوع فى هذه الأيام موضع البحث فى الجرائد والكتب والخطب وأقوال أهل النظر والنقد فى كل مكان فى الشرق والغرب، وكلهم يطلبون فيما يكتبون أو يخطبون أسبابا لإصلاح حال المرأة وأعلاء شأنها ورفعها إلى المقام الذى تستحق لتكون فى مقام الرجل مساوية له فيما يجب أن تكون مساوية له فيه لها ماله وعليها ما عليه، فلا يبقى ثم إجحاف بحقوقها لأنها لم تخرج عن كونها من الخلق من

عباد الله، ومن ذوى النفس الخالدة، وليس ذلك فقط بل هى نصف النوع الإنسانى الذى يسعد بسعادتها ويشقى بشقائها. أما ترى أن الزوجة هى المربية للأولاد والمهذبة للأخلاق والمحسنة للصفات إذا كانت من أهل التهذيب والعلم والخلق الحسنة وإلاَّ فينقلب الوضع وينعكس الطبع إذا كانت على ضد ذلك.

وقد كانت المرأة فى الأزمان الأولى والعصور الحالية ملحقًا للرجل، وبعبارة أخرى مستعبدة له إذ هى آلة بيده يديرها كيف شاء ويتصرف بجملتها تصرف المالك بملكه والسيد بعبده بل نراها اليوم عند القبائل التى ما زالت فى حالة الخشونة والأمم البعيدة عن المدنية والحضارة، تحمل الأثقال وتعتقل السلاح وتقوم بقادح الأعمال وصعاب الأمور حال كون الرجل ناعم البال قرير العين، وامرأته تقوم بالواجب الذى عليه فهى فيهم بمنزلة الخادم للرجل بل لا تفرق عندهم عن الأنعام بشىء.

وإذا رجعنا إلى أقوال الفلاسفة والشعراء الأقدمين رأينا بعضهم يصفونها بأنها مَلَكٌ كريم وبعضها شيطانٌ رجيم كما قال أحدهم:

إن النساء شياطين خلقن لنا　　أعوذ بالله من شر الشياطينِ

ولعلهم جميعهم مصيبون إذ للقول الأول يصدق على المرأة إذا أضئ لبهابأنوار العلم وتثقف عقلها بمثقفات العرفان، وتدربت على طرق الخير والفضيلة وحسن الصفات وإلاَّ فيصدق عليها القول الثانى لا محالة لأن المرأة الجاهلة التى لا تعرف إلاَّ تزجيج الحواجب وتكحيل العيون، وصبغ وجهها بالملونات لتبديل خلقة الخالق الحكيم، وجر ذيول التيه والدلال ولبس الدمقس والموده ومغادرة أولادها حفاة عراة، وترك منزلها مرتع الأمراض ومربع البؤس، وصرف ثروة الزوج على أمور ما أنزل الله بها من سلطان، لحرية بأن توصف بأكثر من شيطان بل هى أشد ضررًا وأكثر نكاية منه بلا ريب.

ومما يقضى بالأسف إن السواد الأعظم من أهالى شرقنا الذين لم تنار عقولهم بأنوار العلم ما زالوا يحسبون تعليم المرأة عاراً وإنارة عقلها بأنوار علوم العصر شنارا ويذكرون لذلك أسباباً فاسدة وحججًا ساقطة ليست من الحقيقة فى شىء مع ما يتاهدون كل يوم من آثار الجهل الذى ينسون مخاطره، والذى لولاه لما أنفقت المرأة لزوجها رزق شهر بل رزق سنة فى شراء ثياب وحلى على غير اضطرار لشىء منها، ولا قادته عند المساء إلى الملهى والمرقص مريضًا أو مجهوراً، وما ذلك إلاَّ لكونه حجب عنها أنوار العلم، وأغلق فى وجهها أبواب العرفان والنباهة، فلم يبق لها من ثم سوى سبيل البهرج والزيغ، ورب رجلٍ هزأ بالعلم على كونه لو حصل لزوجته لكان منجاةً له من العار.

ويا ليته ينحصر الضرر الناتج عن جهل المرأة عند هذا الحد، ولكنه لسوء الحظ يتعداه إلى هيئة الاجتماع عموماً، وهناك الطامة الكبرى لأن المرأة ليست زوجته فقط بل أمًا ومربية للأولاد الذى يتألف من أفرادهم مجموع العائلة البشرية والنوع الإنسانى عموماً، فإن لم تكن الأمهات فاضلات عاقلات مهذبات عالمات بمقتضيات التربية وأساليب التهذيب، لفسدت الأخلاق وعم الجهل، وأصبح العمران خراباً والنجاح تأخرا والقوة ضعفًا والوجاهة خسفًا، وقد صدق أحد الفلاسفة إذ قال: إن المرأة التى تهز السرير بيمينها تهز الكون بشمالها، ولأن الطفل المولود حديثًا أول من يقع نظره عليه عند خروجه إلى نور هذه الحياة هو أمه، وأول ما ينطبع فى مخيلته ويؤثر فى طينته هو حركات أمه وسكناتها وأقوالها وأفعالها، إن خيراً أو شراً، وقد قال نابليون العظيم إن البلاد (فرانسا) فى احتياج شديد إلى أمهات قادرات على تربية الأولاد تربية حسنة لأنها من أعظم أسباب إصلاح حالها وقطع فساد رجالها انتهى.

وقد كتب ذلك الإمبراطور العظيم إلى ناظر المعارف فى باريس، وهو يدير حرباً مهلكة فى بلاد بولونيا على ضفاف الفستولا حال كونه بعيداً عن قاعدة إمبراطوريته

ألف وخمسمائة ميل بعد كلام طويل يتعلق بتعليم النساء فى المدارس التى أنشأها لهنَّ – قال وأحب أن تخرج النساء من المدرسة فاضلات متعلمات غير منقادات إلى الزى والدلال صفاتهنَّ الجاذبة صفاء القلب وكرامة الأخلاق وأمر بتعليمهنَّ المعالى والبيان والتاريخ ومن العلوم الطبيعية ما يخرجهنَّ من ظلوم الجهل إلى أن قال، وعليهنَّ أن يرتبن بيوتهنَّ بأيديهنَّ ويخطن أثوابهنَّ وملابس الرأس، وأن يتعلمن صنع الأثواب للأطفال لينفعن بذلك عند مسيس الحاجة إليه، فإننى راغب فى جعل أولئك البنات نساء نافعات. انتهى.

وقد قال أحد الأدباء إنه لا أم إلاَّ حيث يكون علم ولا زوجة إلاَّ حيث يكون عرفان ومن المعلوم أن العلم يرفع شأن المرأة ويجعلها أوفر احتشامًا وعفةً وأعلى همة وأرفع نفسًا وأكثر عزة وأسهل مراسًا وأعظم نبالة، فلا تميل إلى الدنايا، ولا تفعل ما يجلب اللوم على نفسها وعلى قومها بل تنبذ الخسائس نبذًا، وكلما يعبث بطارتها أو يحط من شأنها. وبعد فلا يد للرجل من تصور زوجته أيما أرملة، فإنه قد يفاجئه الموت فتصير إليها إدارة الأمور، فإن لم تكن معدة لذلك بعلم سابق واختبار سالف، فماذا يكون من أمر الثروة المتروكة لها وأشغال الرجل المعهودة إليها، وكيف يمكنها النهوض بهذه المهام وبتربية الأولاد إذا كانوا أطفالاً إن لم تكن من الخبيرات العارفات، وكم من رجل قد مات عن ثروة واسعة وأموال طائلة وشهرة طائرة، وإذ لم يكن له من يقوم بإدارة ما تركه فتذهب تلك الثروة والأموال والشهرة أدراج الرياح، ولم يبق أثر منها كان لم تكن بالأمس شيئًا مذكورًا.

هذا وإنا قاصرون عن استيفاء بيان الأضرار الناتجة عن جهل المرأة فى المجتمع الإنسانى، ومن الأمور التى لا جدال فيها أن الأمة التى لا تعتنى بتعليم إناثها وتثقيف عقولهنَّ، كما تعتنى بتعليم ذكورها، فلا يتأتى لها أن ترقى مراقى التقدم والفلاح، ولنا فى مقابلة شرقنا الذى لم يصر الاعتناء بتعليم نسائه حتى الآن ببلاد

الغرب التى راجت فيها سوق العلم بين إناثه لأعظم شاهد وأسطع برهان على ما نقول من وجوب تعليم المرأة وإعدادها لأن تكون جسمًا حيًاناميًا فى هيئة الاجتماع، فإليكن بنات الشرق عمومًا والوطن خصوصًا أرفع صوتى الضعيف عساه أن يبلغ مسامعكن، فتستفقن من نومكن الطويل وتنهضن من رقادكن الذى قد مضى عليه قرونًا واسعين سراعًا فى طلب تحصيل العلم والعرفان مقتديات ببنات جنسكن الغربيات فى طلب ما يكسبكن الفخر ويخرجكن من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة، وينتشلكن من وهدة الذل إلى مقام العز ويرفعكن من مقام الحطة والخسف إلى مقام الرفعة والوجاهة، وأظهرن لدى هيئة الاجتماع رافلات بأثواب الفضل متحليات بحلى الآداب والوقار مستضيئات بأنوار علوم العصر غير منقادات إلى الزى والدلال والبهرج ولبس الحلى، لتكن قادرات على طلب حقوقكن، فتفزن بالحصول عليها بعد أن أنكرت عليكن أجيالاً، وقبضت عنكن دهورًا فلكل مجتهد نصيب والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

العلم والمال

لا يفخرنَّ امرؤ بالمال والرتـــبِ ... إذ لم يكن فاخـــرًا بالعلـمِ والأدبِ

فالمالُ يفنى ويمحى ذكرَ صاحبهِ ... وذكر ذى الفضلِ لا يمحى مدى الحقبِ

حضرة الأديبة محررة جريدة الفتاة الغراء

أرجوكِ نشر رسالتى هذه فتاتكِ المحبوبة وإن تكن حريت بأن تتحلى بأسمى نفائس الفضل والآداب لا بموضوع تقاولته الألسنة والأقلام وتخالفت فيـهِ الآراء والأحكام حتى لم يعد لى مجال للنطق بمثل هذا الكلام، ولكن إذ رأت الموضوع واسع المجال ويوجد فيه بعض فوائد لابدَّ من ذكرها أعطيت قلمى العاجز فرصة؛ ليخط ما تملى قريحتى الخامدة فأقول: